د. محمد شوقي الزين

الفلسفة واليومي

الحصة الأولى

الفلسفة واليومي: أيَّة علاقة؟

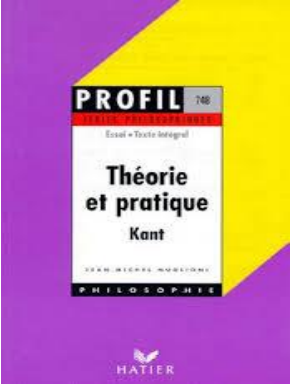

الفَلْسَفَة وَاليَوْمي: النَّظَري وَالعَمَلي

- العلاقة بين الفلسفة واليومي معقَّدة وملتبسة، تُختصَر في الغالب في العلاقة بين «المجرَّد» و«المبتذل»؛ بين ما له الطابع «النظري» وما له الطابع «العملي»؛ بين ما يحوم في سماء العناصر الشفافة والناصعة، على شاكلة «عالم المُثُل» عند أفلاطون، وما يتمرَّغ في الأرض وعناصرها الطبيعية التي يُدركها الإنسان حسيًّا باللمس أو الرؤية أو الذوق، إلخ.
- كيف تقوم الفلسفة بمقاربة اليومي؟ وفق أيِّ مخطَّط أو مشروع؟ هل يتعلَّق الأمر بإسقاط مفاهيم مجرَّدة على اليومي بتنظيمه وتوجيهه؟ هل يمكن القول بأن الفلسفة «تتعالى» على اليومي برؤية خاصَّة هي الرؤية المفهومية المجرَّدة بمعجمها المعقَّد وجهازها النظري المبلوَر؟

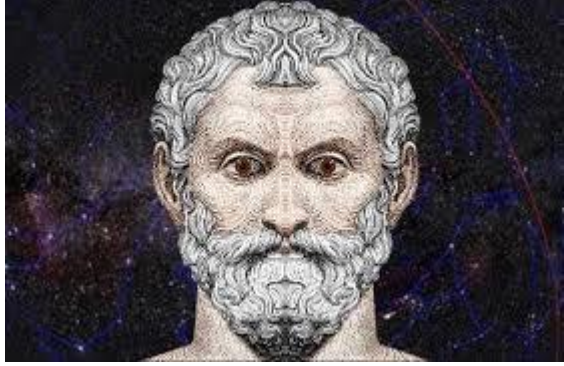

قِصَّة طَاليس وَتَأويلَاتُها

- «بينما كان طاليس غارقاً في قياس النجوم [...] وبينما هو ينظر في السماء، سقط في بئر ولاحظت الخادمة التراقية هذه المزحة بإيقاع تام ومشهد مثير: في ولعه بأشياء السماء، كان يجهل ما هو أمام قدميه!» (أفلاطون، **محاورة ثيتياتوس**).
- ماذا تُمثِّل «البئر» في هذه القصَّة؟ وماذا تُمثِّل «السَّماء»؟ لا يمكن أن نأخذ البئر فقط بوصفها حُفرة؛ ولا أن نأخذ السَّماء بصفتها ظاهرة كسمولوجية تحتوي على نجوم ونيازك.
- يمكن للبئر أن ترمُز إلى «المفارقة» (paradoxe) التي هي الأمر «المناقض للرأي المسلَّم به عموماً، للتوقُّع أو الاحتمال». السقوط في البئر هو بشكل ما، السقوط في المفارقات.
- وجود شهود يسخرون من الفيلسوف المتعثِّر، من شأنه أن يدلَّ على نفور الجمهور من التفكير المجرَّد والمعقَّد.
- ترمز «السماء» إلى هذه الأمور الجوهرية والمتعالية، التي تتواجد في عالم المُثُل النَّاصعة.

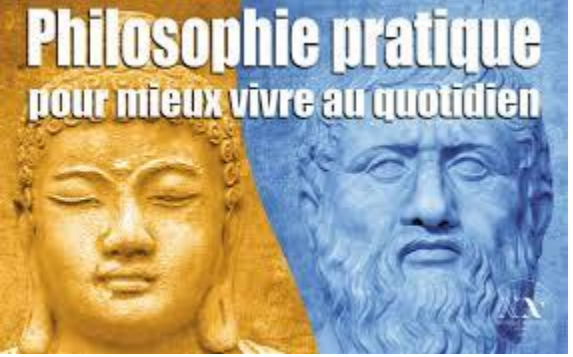

الفَيْلَسُوف وَاليَوْمي

- كيف يُدبِّر الفيلسوف الشأن العام إذا كان يتورَّع عن الحياة العادية ويفتقر إلى الخبرة في معالجة الأمور التي يعتبرها مبتذلة أو تافهة؟ أين تكمن المهامُّ والأدوار التي يضطلع بها الفيلسوف؟
- في القصَّة التي أوردها أفلاطون، نرى بأن هذا الأخير يستهجن سلوك طاليس، ليس لأنه ابتعد عن الواقع، بل لأنه ابتعد عن المُثُل الناصعة مثل النجوم التي تزيِّن السماء. كان همُّ طاليس طبيعياً هو «قياس النجوم» كما في جاء في القصَّة، أي البحث عن حساب فلكي، وليس التَّوقُ إلى الحقائق الخالدة.
- كان طاليس يرى النجوم، ولم يكن يرى ما وراء النجوم من مُثُل قائمة وأفكار ناصعة.
- عزوف الإنسان العادي عن التفكير المعقَّد الذي يميل نحو سماء التَّجريد، ويعتبر هذا الاهتمام بأشياء السَّماء عبارة عن لغو لا طائل منه.
- يسقط الفيلسوف في الأمور الغائرة وهي المسائل الميتافيزيقية التي تفتحه على متاهة من الأسئلة من وراء دواعي الحيرة والارتباك.

إنْزَال الفَلْسَفَة مِنْ سَمَاء التَّجْرِيد

- العمل النقدي الذي باشره العصر الحديث، ابتداءً من إيمانويل كانط (1724-1804م)، من أجل إنزال الفلسفة من سماء التَّجريد والاعتبارات الميتافيزيقية نحو أرض الواقع والمعطيات الحسيَّة.
- بهذا المعنى جعل كانط الظاهرة في تعارض أساس مع الشيء في ذاته (noumène)، وكل ما يُبعدنا عن التجربة الحسية لايُعتدُّ به ولا يُعوَّل عليه.
- يسقط الفيلسوف في الأمور الغائرة وهي المسائل الميتافيزيقية التي تفتحه على متاهة من الأسئلة من وراء دواعي الحيرة والارتباك. ما أن يطرح السؤال، يزجُّ الفيلسوف نفسه في غابة متشعِّبة من المسائل والقضايا قد لا يجد لنفسه مخرجاً منها، يغوص أكثر في أدغالها ومتاهاتها ويبقى أسير أشيائها الغريبة التي تثير القلق والخوف، تماماً كما تنطوي الغابة على وحوش ضارية.

طَبِيعَة اليَوْمي

- يتميَّز اليومي باللاتحديد. لأنه مفتوح على الإمكان والمصادفة، يتحوَّل ويرتقي؛ ولأن العُنصر المبدئي والبسيط الذي يُركِّب اليومي هو «الفعل» البشري القائم هو الآخر على العفوية والعَرَضية.
- «اليومي، يقول شيرنغهام، قريب منَّا وبعيد عنَّا في الوقت نفسه، إنه دائماً في الأفق».
- Michael Sheringham, *Traversées du quotidien. Des surréalistes aux postmodernes*, Paris, PUF, coll. « Lignes d'art », 2013, p. 25.
- تكمن المشكلة بالنسبة للفلسفة في القُدرة أو عدم القُدرة على الإحاطة باليومي ودراسته في خصوصيته وفهمه في غاياته.
- اليومي روتيني ويقوم على تكرار الأفعال ومن ثمَّ المحافظة على وتيرة واحدة من السلوك والمبادرة.
- كان الهمُّ الوحيد للفلسفة هو بلوغ الحقيقة، بأن تسعى لأن تكون فلسفة أصيلة. ولم تجد هذه الأصالة في واقع يومي يخضع بالأولى إلى باده التحوُّل. يعمل هذا التقلُّب غير المتحكَّم فيه على تعكير صفو التفكير الفلسفي الباحث عن الهدوء والتأمُّل وفترات الصمت، بعيداً عن صخب الحركة وضجيج العمل اليومي.